

بحوث فقهية مهمّة

[507] لا ترتبط بالضرورة أو العسر والحر، قد عرفت الإشارة إلى شطر منها، مثل التقية التحببية وأمر الوالد والنذر والقسم وغيرها. 3 - دور العناوين الثّانوية في حياة الفقه الإسلامي وازدهاره هناك إعلان يعدان من الأصول المسلّمة في الإسلام : أبدية الإسلام وعالميته، فالإسلام لا ينحصر بزمان، دون زمان وبمكان دون مكان، ولا قوم دون قوم، بل يجري مجرى الشمس والقمر، مدى الدهور والأعصار، وفي مختلف انحاء العالم، يضيء ويشرق على الجميع إلى آخر الدنيا وفي جميع الأقطار. يدلّ عليهما ما ورد في القرآن من التعبير بقوله تعالى : «يا أيّها الناس، ويا بني آدم، ويا أيّها الذين آمنوا، ويا أيّها الإنسان، ويا عبادي» في آيات كثيرة تدلّ على أن المخاطب بها جميع البشر من زمان نزولها إلى آخر الدنيا، وفي كلّ مكان من الأمكنة، وكلّ بقعة من بقاع الأرض. ويدلّ على الثّاني بالخصوص آية الخاتمية : (ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وغير ذلك ممّا ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى (وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين) وشبهه. وفي السنّة روايات كثيرة ليسنا بصدد ذكرها الآن، وقد صار هذان الأعلان من الواضحات يعرفه كلّ من له المام بالإسلام. ثمّ إذا كان الإسلام ديناً عالمياً ابدياً لنوع البشر، مع أن المجتمعات لاتزال في تطور وتغيير، ولا تزال حوائجهم تختلف وتزداد وتنوع وتتشعب، مع كون قوانين الإسلام ثابتة مؤيدة، يُتسائل أنه كيف ينطبق ذاك الأمر المتغير دائماً، على هذه القوانين الثابتة دائماً ؟ وهل يمكن الجمع بينهما ؟ مع أنّنا نرى القوانين في المجتمعات الإنسانية - مرادنا القوانين التي وضعتها ايدي البشر - تتغير دائماً كي